

أم الزين بنشيخة المسكيني: هناك مؤامرة تُحاك ضد الثقافة في تونس

الباحثة التونسية تعتبر أن المجتمعات العربية والإسلامية غير معنية بعالم ما بعد الأديان والعلمانية



لا تزال مفاهيم "عالم ما بعد الأديان" و"عالم ما بعد الحداثة" وغيرها تُثير غموضاً في العالم ككل ولاسيما داخل المجتمعات العربية والإسلامية التي تُعد غير معنية بهذه المفاهيم، حسب ما تؤكد الباحثة التونسية أم الزين بنشيخة التي شككت في هذا الحوار من مؤامرة -على حد تعبيرها- تحاك ضد الثقافة في بلادها.

صغير الحيدري
صحافي تونسي



تونس - تُثير المقاربات التي يطرحها العديد من الفلاسفة وتؤسس لـ"عالم ما بعد الأديان" تساؤلات عن ردة فعل المسلمين المرتقبة إزاء التحولات التي سيعرفها العالم والأسئلة التي سيواجهها هؤلاء، خاصة مع تصاعد حدة الانتقادات للمسلمين والإسلاميين في الغرب لاسيما فرنسا.

وفي هذا الصدد تقول الكاتبة والباحثة التونسية أم الزين بنشيخة المسكيني إن هذه المفاهيم -ما بعد العلمانية، ما بعد الدين، وغيرهما- لم تُطرح بعد في ما يُعرف بالعالم العربي والإسلامي، وهي مفاهيم ليبرالية، وأن هذه المجتمعات العربية والمسلمة غير معنية بـ"ما بعد" بقدر ما هي معنية بـ"ما قبل" لأن هناك وجهاً مظالم من الماضي يُورق المسلمين الذين يحتاجون إلى ثورة تاويلية.

وأضافت بنشيخة في حوار مع "العرب" أن هناك مؤامرة تحاك ضد الثقافة في تونس، مشيرة إلى أن الوباء "بسرّ خطراً وهو احتكار الفضاء العام من قبل الدعاة ورجال الدين والذين ينتمون إلى أجنحة الإعلام التجاري" التي تجعل من الثقافة أمراً ثانوياً.

وبنشيخة هي باحثة في الفلسفة ومتحصلة على الدكتوراه في الفلسفة الحديثة، ولها العديد من المؤلفات التي حاولت من خلالها معالجة التحديات التي تعترض الإنسان اليوم وكذلك تفكك العلاقة بين الفن والحرب على الإرهاب، على غرار مؤلفها الذي صدر في العام 2016 "الفن في زمن الإرهاب" وكذلك "الفن والمقدس... نحو انتماء جمالي إلى العالم" وغيرهما من المؤلفات.

ولم تكتف بنشيخة بالكتابة فقط، بل تعدت ذلك إلى اقتحام مجال الإعلام حيث تقدم برنامجاً "نزهة مشتاق" الذي تبثه إذاعة تونس الثقافية وهي إذاعة رسمية، ويمثل البرنامج فضاء مفتوحاً للكتاب والفلاسفة التونسيين كما غيرهم من الفاعلين في المشهد العام للنقاش بهدوء.

بنشيخة تحذر من سيطرة رجال الدين والدعاة والمشعوذين والإعلام الذي له أجنحة تجارية على الفضاء العمومي

وتستعد بنشيخة الآن لإصدار سلسلة جديدة بعنوان "صوفيا"، وهو مصطلح إغريقي يعني الحكمة، حيث تقول بنشيخة إن الهدف منها نشر الفكر الفلسفي، وتعمل عليها بنشيخة كثيراً من أجل التصدي للذين يتجاهلون الثقافة في بلادها على غرار "لوبيات المال والسياسة والإعلام".

شبح الماضي

حاولت أم الزين بنشيخة من خلال مؤلفاتها، على غرار كتاب "الفن والمقدس... نحو انتماء جمالي إلى العالم" الذي صدر في العام الجاري، تفكيك شفرات العلاقة التي تحكم الفن والمقدس والتشديد على ضرورة مرور العالم إلى إنسانية جديدة قوامها الفن والجمال وغيرهما.

وفي هذا الصدد تقول بنشيخة إن "العالم العربي والإسلامي غير معني

بهذا العالم؛ عالم ما بعد الدين وما يجري اليوم في هذا العالم الموعول.. هذا العالم الذي يسرع من وتيرة التفكير في ما بعد؛ وما بعد هو مفهوم تكلم بشأنه الكثير من الفلاسفة على غرار الأميركي ريتشارد رورتي والألماني يورغن هابرماس (...). فهؤلاء يتحدثون عن مفاهيم جديدة (ما بعد ديني، ما بعد علماني، ما بعد فلسفي، ما بعد ميتافيزيقي...). في الواقع هذه المفاهيم متجاوزة توقع نمطاً جديداً من البراديغم الفلسفي وهو ما زال غامضاً".

وتوضح "هذه المفاهيم (ما بعد) ليس لها مضمون واضح إلى حد الآن، غير أنها توقع قطيعة مع البراديغم التقليدي للفلسفة (...). لكن هذا النوع مما يمكن أن نسميه 'الرفاهية الفلسفية' قد لا يصل إلينا إلا من خلال التشدد اللغوي فقط أو الحدقة الفلسفية؛ فهي مفاهيم ليبرالية (...). بالنسبة إلى سكان العالم الإسلامي الذين يطغى عليهم الإسلام كدين غير معنيين بما هو بعد بقدر ما هم معنيون بـ"ما قبل" لأننا لم ننجح بعد في التعامل مع الـ"ما قبل" الذي يحصنا والذي يعود إلى الساحة حيث يسميه فرويد مثلاً 'عودة المكبوت' وهو الوجه المظلم من الماضي (...). إنه يُورقنا كثيراً".

وتتشدد الباحثة التونسية على أن هذه المفاهيم ليست حكرًا على الغرب ولكن وصول المسلمين إليها يبقى رهين حسن تعاملهم مع الماضي أي الـ"ما قبل" لأننا وبالرغم من وجود جوانب مشرقة في الماضي لكننا لم ننجح أو نتقن كمسلمين إعادة إحيائها وتنشيطها".

وبالنسبة إلى أم الزين بنشيخة، فإن وظيفة الفنانين والمثقفين أن "يتورطوا" ويلتزموا أكثر في تعاملهم مع الوجه المظلم من الماضي الخاص بالمسلمين، مشيرة إلى أن هابرماس مثلاً يقول: علينا أن نتعامل مع الوجه المظلم من ماضي ألمانيا" في إشارة إلى النازية. وتشدد الباحثة التونسية في حوارها مع "العرب" على أن "المطلوب ثورة تاويلية (...). قراءة النصوص

الدينية وانتقاء النصوص المناسبة لهذا العصر وإن شئنا الاستغناء عن النصوص الإرهابية العنيفة والمنطرفة (...). نعم هناك نص قرآني واحد لكن هناك العديد من الإسلامات (...). ومع الأسف لا يمكن أن نحرر الإسلام من فتاوى الفقهاء وفتوة الإسلام السياسي إلا بنوع من الجرأة الروحية والعقائدية والتاويلية التي أسميها ثورة تاويلية في علاقة بالنصوص الدينية".

وتوضح "هذه المفاهيم (ما بعد) ليس لها مضمون واضح إلى حد الآن، غير أنها توقع قطيعة مع البراديغم التقليدي للفلسفة (...). لكن هذا النوع مما يمكن أن نسميه 'الرفاهية الفلسفية' قد لا يصل إلينا إلا من خلال التشدد اللغوي فقط أو الحدقة الفلسفية؛ فهي مفاهيم ليبرالية (...). بالنسبة إلى سكان العالم الإسلامي الذين يطغى عليهم الإسلام كدين غير معنيين بما هو بعد بقدر ما هم معنيون بـ"ما قبل" لأننا لم ننجح بعد في التعامل مع الـ"ما قبل" الذي يحصنا والذي يعود إلى الساحة حيث يسميه فرويد مثلاً 'عودة المكبوت' وهو الوجه المظلم من الماضي (...). إنه يُورقنا كثيراً".

وتتشدد الباحثة التونسية على أن هذه المفاهيم ليست حكرًا على الغرب ولكن وصول المسلمين إليها يبقى رهين حسن تعاملهم مع الماضي أي الـ"ما قبل" لأننا وبالرغم من وجود جوانب مشرقة في الماضي لكننا لم ننجح أو نتقن كمسلمين إعادة إحيائها وتنشيطها".

وبالنسبة إلى أم الزين بنشيخة، فإن وظيفة الفنانين والمثقفين أن "يتورطوا" ويلتزموا أكثر في تعاملهم مع الوجه المظلم من الماضي الخاص بالمسلمين، مشيرة إلى أن هابرماس مثلاً يقول: علينا أن نتعامل مع الوجه المظلم من ماضي ألمانيا" في إشارة إلى النازية. وتشدد الباحثة التونسية في حوارها مع "العرب" على أن "المطلوب ثورة تاويلية (...). قراءة النصوص

المثقفون التونسيون عرضة للتمهيش

ولكن بالرغم من إيمانها بأن الفيلسوف والمثقفين يواجهون التهميش في بلادها، إلا أن بنشيخة تطالب هؤلاء بالتحرك لافتكاح مكانتهم في المجتمع قائلة "علينا أن نفتك المصحح ونقول لهؤلاء المصلحين الذين يتصارعون بالأيديولوجيا وغيرهم؛ فكافكم جهلاً، فكافكم زيفاً، فكافكم نشرًا للحق".

وبالنسبة إلى أم الزين بنشيخة فإن هناك فتناً تحيط بالفلاسفة الذين يحاول البعض "تقسيمهم إلى غربي ومشرقي"، محذرة من ذلك بالقول "كل ما يقوله الفلاسفة ينتهي إلى العقل البشري لذلك علينا أن نحرمهم من الأحكام المسبقة المتعلقة بالأيديولوجيا وغيرها لأن الفلسفة هي ورشة فهم وعقل واختراع لمستقبل وأفاق جديدة (...). إنها تصنع الأمل".

وتطالب بنشيخة كذلك بتجديد أسئلة الفلسفة قائلة "نعم لست أنا من أتيت بمصطلح تجديد أسئلة الفلسفة، لكن نحن نطور الأفكار؛ نأخذ أفكار هابرماس وجبران خليل جبران وغيرهما ونطورها إلى علب مفااتيح (...). الفلسفة بصدد تشكيل أسئلة جديدة وتوجه هذه الأسئلة نحو عالم الحياة".

وتضيف "ينبغي أن يكون الفلاسفة زعماء بدل زعماء الإرهاب الذين يشتغلون على الزعامة (...). ينبغي أن يصبح تشومسكي قدوة أبنائنا، فحتى المسكيني قوتهم، بنشيخة قوتهم ويكل تواضع لأن زعماء الإرهاب هم من باتوا نموذجاً لشبابنا وهذا خطير جداً (...). ولأن أيضاً فراغ الألق يمثل خطراً بفضل ما يروجع للليبراليون؛ ما الذي بقي من الإنسان؛ لقد أصبح الإنسان كأننا هنا مستهلكاً مثله مثل بقية البضائع؛ نقوم بحياته على الاستهلاك فقط ومعرض للاكتئاب والتصحير الثقافي".

وتختم بنشيخة "لذلك فقدنا الكثير من القيم الروحية؛ قيم التضامن والمحبة، ونما في المقابل كوجيتو الكراهية كما يسميه فتحي المسكيني (فيلسوف تونسي)، الفيلسوف إذا وظيفته أن يعيد للشعوب قدرتها على الأمل والحب والحياة".

وبالرغم من الحرية إلا أن وسائل الإعلام (قنوات تلفزيونية وإذاعية) تولي أهمية كبيرة لبرامج ترفيهية لا تتوفر فيها أية معايير صحافية ما حولها إلى برامج إثارة، إلى جانب دخول هذه الوسائل معترك الأزمة السياسية، في تجاهل للدور الأخرى التي من المفترض أن تضطلع بها.

وفي هذا السياق، تُشدد بنشيخة على أن "كل تنقيح -أو ابتدال- للمثقفين بشكل جريمة (...). لأن القضاء على الحياة الإبداعية لشعب ما يحوله إلى مجرد قطع".

وتوضح "عدم منح الثقافة المنزلة التي تستحقها -وهي ظاهرة شهدتها تونس منذ عهد زين العابدين بن علي (الرئيس الراحل)- بشكل خطراً على جهود مقاومة الإرهاب والعنف هذه السياسة، تابعنا

تدمير المتاحف والمكتبات وتحرير الموسيقى في أفغانستان مثلاً (...). كل أشكال الاضطهاد يعيشها الفنانون والمبدعون منذ السهروردي وابن رشد (...). كلهم ذهبوا ضحية هذه العقلية الإرهابية المدوية غير المتسامحة والعنيفة".

وأضافت الباحثة التونسية "نحتاج إلى الفن لمقاومة هذه العقلية (...). بالنسبة إلى مكافحة الإرهاب لا يمكن أن تقتصر على الحل الأمني وعلى الحل العسكري وحدهما بل الفنانون هم أيضاً جنود لمقاومة الإرهاب".

وبنشيخة ليست الأولى التي توجه سهام نقدها لوسائل الإعلام المحلية في تونس وسياسات الدولة حيال الثقافة والتربية والتعليم، خاصة في ظل تغليب مثقفين بارزين في هذه القنوات ما جعل تواصلهم مع عامة الناس ينقطع.

وتقول بنشيخة "الفيلسوف مثلاً يواجه الإقصاء في وسائل الإعلام الوطنية (...). أنتم تعرفون هذا، الفيلسوف، وعلى ندرته في بلادنا، بات صوته خافتاً جداً (...). المفروض أن يُصيح الفيلسوف قدوة للشباب وللشعب".

وتعتبر أم الزين بنشيخة أن وباء كورونا كشف عن أخطار كثيرة على غرار احتكار الفضاء العام من قبل رجال الدين والمشعوذين والدعاة ولوبيات وأجنحة الإعلام التجاري.

وتقول إن العصر الموعول غير طريق الدين، مضيئة "المقدس مثلاً لم يعد يُنظر إليه بنفس النظرة التقليدية لأن العديد من التحولات حدثت لاسيما الثورة الرقمية، لذلك بات الأشخاص يلجأون إلى الكمبيوتر وغيره لاختيار مقدسهم (...). لذلك نطالب بالتجديد (...). إن الثورات العقلية والروحية تحدث من خلال التجديدات الحاسمة التي ينبغي أن نعدل عليها عقولنا فمطلما تقتني الكمبيوتر يجب علينا انتقاء التجديد الذي هو مرتبط بشكل كبير بنمط الإنسان الذي هو بصدد التشكل".

وتوضح "عدم منح الثقافة المنزلة التي تستحقها -وهي ظاهرة شهدتها تونس منذ عهد زين العابدين بن علي (الرئيس الراحل)- بشكل خطراً على جهود مقاومة الإرهاب والعنف هذه السياسة، تابعنا

تدمير المتاحف والمكتبات وتحرير الموسيقى في أفغانستان مثلاً (...). كل أشكال الاضطهاد يعيشها الفنانون والمبدعون منذ السهروردي وابن رشد (...). كلهم ذهبوا ضحية هذه العقلية الإرهابية المدوية غير المتسامحة والعنيفة".

وأضافت "هناك تنقيح للأولى التي توجه في تونس (...). ليس لدينا وزير ثقافة إلى الآن (...). أضف إلى ذلك تقليص ميزانية هذه الوزارة الهامة إلى حدود الصفر فاصل سبعة وهذه جريمة سياسية ترتكبها الدولة والحكومة والإرادة السياسية في البلاد ووسائل الإعلام ولنا الكثير من هذه الوسائل المورطة في ذلك".

وبالفعل، تُواجه وسائل الإعلام في تونس انتقادات لاذعة بسبب أدائها بالرغم من هامش الحرية الذي منحته إيها ثورة الرابع عشر من يناير 2011.

وتتشدد الباحثة التونسية على أن هذه المفاهيم ليست حكرًا على الغرب ولكن وصول المسلمين إليها يبقى رهين حسن تعاملهم مع الماضي أي الـ"ما قبل" لأننا وبالرغم من وجود جوانب مشرقة في الماضي لكننا لم ننجح أو نتقن كمسلمين إعادة إحيائها وتنشيطها".

وبالنسبة إلى أم الزين بنشيخة، فإن وظيفة الفنانين والمثقفين أن "يتورطوا" ويلتزموا أكثر في تعاملهم مع الوجه المظلم من الماضي الخاص بالمسلمين، مشيرة إلى أن هابرماس مثلاً يقول: علينا أن نتعامل مع الوجه المظلم من ماضي ألمانيا" في إشارة إلى النازية. وتشدد الباحثة التونسية في حوارها مع "العرب" على أن "المطلوب ثورة تاويلية (...). قراءة النصوص

